نقابتكم — فتضمّ اليها العاملين والعاملات المختلفي الحرف والمهن تحت لواء جمعيات عمومية واسعة النطاق تربطهم روابط المحبة الاخوية . لان الخير الاعظم يعرف حقّ المعرفة انه بتشجيعاته هذه يخدم الطبقة العاملة في اقدس حقوقها وفي الوقت نفسه يوطّد قواعد السلام في المجتمع البشري »

حبّذا لو اخذ البشر بهذه التعاليم الرشيدة فاعارها ارباب المال واولياء الصناعات جانب التفاتهم ورضخ لها العمّال لساد الوفاق وعمّ الرخاء وانقضّت مشاكل عديدة من تلقاء نفسها ولم يؤدِّ بها الحال الى ما هي عليه الامور الآن من التفظيع والتقتيل في روسيّة

هنا تتجلّى الروح الدينية باجمل مظاهرها ويشعر الانسان بحاجة شديدة اليها . فهي الكفيلة بتحقيق النجاح بينما تخفق كل وسيلة سواها

انتهى كلامنا عن النقابات ويليه في عدد آخر الكلام عن الاضراب ان شاء الله

الكنيسة ومناهضة الحروب

للخوري بطرس فرج صقير احد اساتذة كلية القديس يوسف

بعد ان نشرنا في هذه المجلّة مقالةً في الانجيل والسلم العامّ قرأنا في عدد مارس المنصرم من مجلة الهلال الغراء مقالاً لمنشئها له مع الموضوع الذي كنّا بصدده علاقة . فقد جاء فيها ان نفرًا من اعاظم الانكليز انشأوا مشروعاً عظيمًا يعرف باسم « عصبة الاديان » والغاية منها على ما في نشرتهم الرسمية « تنظيمُ القوى الروحية في العالم لتوطيد السلم العام والعمل على ما فيه الصلاح القوميّ والدوليّ »

ومما قاله صاحب الهلال عن هذه العصبة ما حرفه :

« وقد اطّلعنا على محضر المؤتمر الذي عُقد في انكلترا لانشاء عصبة الاديان فوجدنا بين الحاضرين اساقفة ممثلين لاديان ومذاهب مختلفة من اساقفة وحاخامين فضلًا عن كبار المفكرين ورجال الاصلاح الاجتماعي »

وقد اردف مُحدِّثنا هذه الفكرة ونعم القول :

« هل من عامل في العالم افعل في نفس الانسان من العامل الديني ؟ كلا . بواسطة الدين وحده يتيسر بلوغ هذه الغاية المنشودة وبه دون غيره تنفخ الروح والحياة في هيكل عصبة الامم . فما عصبة الامم الا جسم بلا روح وصورة بلا حياة وانما روحها وحياتها «عصبة الاديان» تبثُّ مبادئ المحبة والتعاون والاخاء بين بني البشر لان الدين اشد العوامل الاجتماعية تأثيراً في الناس واقربها الى قلوبهم وافئدتهم . وبعبارة اخرى ان عصبة الاديان المراد انشاؤها هي الضامن الوحيد لثبات عصبة الامم »

فهذا امر لا يقع فيه شبهة اذ يثبتهُ الدليل ويشهد بصحتهِ التاريخ . فلو قلبنا صفحات التاريخ قديمهِ وحديثهِ لوقفنا على من لهم اليد الطولى في اطفاء جذوات الحروب ونشر رايات السلام لاتضح لنا ان في مقدمة الذين راعتهم امر الحروب فصرفوا عنايتهم في سبيل ابطالها او اقله في تخفيف اهوالها انما هم رجال الدين ولاسيَّما ارباب الدين الاكثر شيوعاً في العالم اعني بهم روساء الكنيسة الكاثوليكية

قلنا الكنيسة الكاثوليكيَّة ولا نخاف في قولنا لومة لائم مما تشدَّق بعض الكتبة ممَّن لا يعرفون من التاريخ الا قشرتهُ او يستندون الى اقاويل اعداء الكنيسة او يخلطون بين الكنيسة الكاثوليكيَّة والشيع البروتستانيَّة او ينسبون الى الكنيسة ما فعلهُ بعض الافراد كما فعل «سيد امير علي» في مقالة معنونة بروح الاسلام نشرها في مجلَّة البيان المصريَّة ولم يكتفِ ان يطرئ روح الاسلام وهو حقُّهُ لسنا لنتعرَّض لهُ فيهِ سواء أخطأ ام اصاب لكنَّهُ تحامل على النصرانيَّة بكلام نعدُّهُ اهانةً لديننا مناقضاً لكل شواهد التاريخ . فممَّا كتبهُ هناك بعد وصفهِ للدولة الرومانيَّة ومساوئها (ص ١٧٥) قال :

« فلما دخلت النصرانيَّة في العالم الروماني لم تحدث ادنى تغيير او تبديل في آراء مُشرعي الرومان عن مسألة الواجبات الدوليَّة بل بقيت الحرب على ما كانت عليهِ قبل من فظائع التخريب والعسف والتدمير والحيف والضيم والاذلال والابادة والاستئصال وذلك انَّ المسيحيَّة اخلت نفسها ونفضت يدها من مسألة المعاملات الدوليَّة والواجبات الانسانيَّة المتبادلة بين شعب وآخر وبذلك تركت ارباحها واتباعها يمشون مجاهل الضلال في اسود (كذا) دياجير الجهل والغباوة »

هذا واسطرٌ عديدة مثلها يضيق المقام عن ذكرها كلِّها والحقيقة على طرفي نقيض . ولو اردنا تفنيدها لاقتضى مجلَّدات واسفار قد صنَّفها والشكر لله غيرنا

من ارباب المعارف التاريخيَّة وانَّا نجتزي بذكر خلاصتها ذودا عن حقوق الدين المستقيم

رأت الكنيسة الكاثوليكية انه ليس بامكان البشر ان يقطعوا دابر الحروب ويؤلفوا قلوب جميع الامم بالأمن والسلم لكنها سعت على طاقة امكانها باطفاء جمراتها وتقليل انتشارها وحصر اضرارها بقوانين منظَّمة . وقد استنفدت الوسائل في تحقيق غايتها وتوخَّت ما استطاعت بواعث النجاح . وبياناً لذلك رأينا ان نستصبح بنور التاريخ ونثبت للقرَّاء فضل الكنيسة الكاثوليكية في مناهضة شرور الحروب وتخفيف ويلاتها وياوح ذلك : اوَّلاً بتعريف روح الكنيسة ومبدأها الاساسي . ثانياً بذكر مؤسَّساتها . ثالثاً بوصف مجلسها التحكيمي

١ روح الكنيسة ومبدأها الاساسي

ليست الكنيسة كما هو معلوم الَّا المشروع الاجتماعيّ العظيم والنظام الدينيّ الجليل الذي انشأهُ السيِّد المسيح لينشر في العمور بعد صعودهِ روحهُ وتعاليمهُ المقدَّسة التي ضمَّنها في انجيلهِ الطاهر . وقد بيَّنا في مقالتنا السابقة « الانجيل والسلام العامّ » انَّ روح المسيح هو روح السلام وانَّ تعاليمهُ عائدةٌ الى تقرير السلام بين الافراد كما بين الشعوب

١ فانهُ تجدُ اسسهُ اذ كان على الارض وضع اساس الهيئة الاجتماعيَّة الجديدة حيث كرَّر على تلاميذهِ انهم اخوة (متَّى ٢٣ : ٨) وانَّ لله كما لقيصر حقوقاً يجب وفاؤها (لوقا ٢٠ : ٢٥) وانَّ صاحب السلطة بينهم ينبغي عليهِ ان يعتبر نفسهُ كخادم الكلّ (لوقا ٩ : ٤٨)

ثمَّ قرَّر تلاميذهُ هذه التعاليم من بعدهِ واعلنوا بانَّ كلّ سلطة تأتي من الله (رومية ١٣ : ١) فيجب الخضوع لها ما لم تناهض حقوق الله فتُفضَّل طاعة الله على امر البشر (اعمال ٤ : ١٩—٢٠) وانَّ لكلّ واحدٍ دعوتهُ لا بُدَّ ان يستقرَّ عليها سواء كان حرًّا او عبدًا (١ كور ٧ : ٢٠) وانهُ لم يَعُدْ يبقى بينهم يهوديّ ولا يونانيّ لا عبد ولا حرّ ولا ذكر ولا انثى بل جميعهم واحد في المسيح (غلاطية ٣ : ٢٨) ومع هذا انَّ لكلّ منهم الافراد كما الجموع واجباتٍ وحقوقاً يتحتَّم عليهم

مراعاتها (١ للوالدين كما للاولاد للرجال كما للمرأة للعبد كما للسيد لأنَّ الظالم سينال ما ظلم به (كولوسي ٣ : ١٨ — ٢٢) وآيات اخرى كثيرة تبيّن باجلى بيان ان السيد المسيح ورسلهُ وضعوا اساس الحقوق الفرديّة والدولية كلها وانهم كانوا اعظم انصار السلام مع جميع الناس حتى الاعداء. قال الاناء المصطفى بولس الرسول (رومية ١٢ : ١٨—٢١) : ان امكن فسالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون لا تنتقموا لانفسكم ... فان جاع عدوك فاطعمهُ وان عطش فاسقهِ ... لا تتغلب للشرّ بل اغلب الشرّ بالخير . وقال في رسالتهِ الى العبرانيين (١٢ : ١٤) : اقتفوا السلام مع الجميع

فهل يقدر سيد امير علي ان يأتي بآيات واضحة مثل هذه . فانَّ ما ذكرهُ في البيان (ص ١٧٨) لتأييد رأيهِ قد سبقت اليهِ اسفارنا المقدسة مئين من السنين قبلهُ لاسيَّما الحديث « صِلْ مَن قطعك واحسن الى من اساء اليك » فقد بيَّن المشرق (ص ٢٧٣—٢٧٤) انهُ منقول عن الانجيل بحرفهِ

٢ وان انتقلنا بعد هذا الى تاريخ الكنيسة واعتبرنا موقفها بازاء الدول وجدنا انها سعت طاقة جهدها في بثّ روح السلام . واوَّل ما صنعتهُ مدَّة الثلثة القرون الاولى حيث قام عليها العالم الروماني وعَبَدة الاصنام في كلّ اقطار الدنيا انَّها ابتدأت باصلاح اساس الدول اعني العائلة فانَّها ردَّتها الى كرامتها الاولى فمكَّنت روابط الزواج ونفت الاكثار من النساء ومنعت الطلاق وخفَّفت سلطة الرجل المطلقة على زوجتهِ واولادهِ وعزَّزت مقام المرأة كما يشهد لذلك اعداء الكنيسة فضلًا عن ابنائها

ولمَّا خرجت من الديامس واصابت الحرّيَّة بانتصار قسطنطين اخذت منذ ذاك تناهض شرائع الامم الوثنيَّة مباشرةً بشرائع الرومان . فانَّ من يمعن النظر في السُّنَن التي سنَّها قسطنطين الكبير ثمَّ ثاودوسيوس الكبير ثمَّ والنتنيان وغيرهم تحقَّق كم تحسَّنت شرائع الوثنيَّة في امور متعدّدة في النظام الاهليّ والنظام العمومي والنظام الدوليّ وفي تحرير العبيد وابطال عادات همجيَّة كالمصارعات الدمويَّة في المسارح العموميَّة اذ كانوا يعرضون الوفاً مؤلَّفة من المصارعين او من العبيد او الاسرى

١) راجع مقالات المشرق (١١ [١٩٠٨] ٧٨٨ و٨٦٣ و٩٢٢) : في الحربيَّة والمساواة والاخاء ثم (١٢ [١٩٠٩] : ١٤٤ و٢٠٥) في التمدُّن والتساهل

ليتجالدوا بالسيوف فيقتل بعضهم بعضاً او يصارعوا الوحوش الضارية بل رُبَّما عرضوا جماهير المسيحيين لمخالبها دون مصارعة والحضور على مقاعدهم يشجعون ابصارهم بدماء الصرعى. فلم تبطل هذه العادات البربريَّة الَّا بفضل احد ابناء الكنيسة القديس تلماك اذ نزل في مرسح القتال ليفصل بين المتصارعين فذهب ضحيَّة حبِّه للسلام وأُبطلت من بعده تلك المصارعات الوحشيَّة

٣ ولمَّا ذهب العالم الرومانيّ غارقاً بتيَّار الامم المعروفة بالبرابرة التي اقتحمت ذلك الجبَّار العاتي واستولت على ممالكه لم يتصدَّ لها غير ارباب الكنيسة فقاموا في وجه ملوكها وكفُّوا عن الشعوب كثيراً من شرورها كالحبر الروماني لاون الكبير في رومية وبندكتوس في ايطالية ولوبوس ورامبجيوس وجنوفيفا في فرنسة

ولم تكتفِ الكنيسة بوضع الحدود لأذاهم بل باشرت بتبشيرهم وتمدينهم فارسلت رُسُلها اليهم في كلّ اطراف اوربة وآسية وافريقية فباشروا بذاك المعترك العجيب حيث انتصر الضعيف من القوي والأعزل من الشاكّ بالسلاح والشهيد من مغتصبه وقاتله فظهر نور الحقّ بين تلك الظلمات الكثيفة وقعلت وردةُ السلام ما لم يفعلهُ حدُّ الحسام. ولم يمرّ على كنيسة المسيح اربعة او خمسة قرون حتَّى اضحت تلك الامم البربريَّة امماً جديدة ساد في كثير منها روح العدل بل ظهر بين ملوكها رجال فضل وبرّ تردّد الشعوب حتَّى اليوم اسماءهم بكلّ وقار وكلّ شكر ونُظمت اسماء بعضهم في سلك القديسين

٤ ومما يوقفنا بجلاء على روح الكنيسة ونزوعها الى السلام ما رتَّبته بشأن خدمة الدين حيث قضت ان كلّ من سفك دماً بمجابهة آمراً او مُنفِذاً يُمنَع منعاً مطلقاً عن قبول الدرجات الكهنوتيَّة ليكون ارباب الدين ملائكة سلام ولا تحمل يدٌ سفكت الدماء إلهَ السلام

٥ واذا ما اعتبرنا صلوات الكنيسة في رُتَبها اليوميَّة وقلَّبنا صفحات كتبها الطقسيَّة وجدناها مفعمةً بالابتهالات الى الله لنيل الصلح والسلام وليس هناك كلمة واحدة تشعر برغبتها في محاربة ايّ كان من البشر. واذا ما رفعت الى الله الادعية لطلب النصر لابنائها وللشكر عن الانتصار النهائي فما ذلك الَّا اعتصاماً بقوَّة الله لدفع الاذى وشكراً له على نعمه وهو ربُّ الجنود يهبُ النصر من يشاء

٦ وكم سعت الكنيسة في بثّ روح اللين والسلام في نفوس الملوك والوزراء والمشترعين فصرفت اذهانهم من سفك الدماء الى ترقية شعوبهم المادّيّة والادبيّة تشهد عليهِ المجلّدات الضخمة من اعمال الباباوات وبراءاتهم الرسوليّة ورسائلهم الى الملوك . وان ورد شيء من ذلك لمحاربة اعداء الدين فانّما هو دفعاً لضررهم وحسماً لشرّهم وتمهيداً للحصول على السلام . ومثلهُ قل عن جملةٍ من الاساقفة والكهنة الذين اختصّهم الملوك لمشورتهم وأسندوا اليهم امورهم فانّهم منعوا حروباً كثيرة بتوسّطهم وحسن آرائهم

ويقرّ اليوم ارباب العلم وشيوخ السياسة انّ القوانين الدوليّة المعوّل عليها بين الامم المتمدّنة بخصوص الحرب وحقوق المتحاربين انّما هي خلاصة القوانين الكنسيّة التي سبق الاحبار الرومانيّون ورؤساء الدين الكاثوليكيّ فسنّوها في مجامعهم وتقاريرهم الرسميّة فنالوا بذلك شكر الامم جمعاء . فليذكر سيد مير علي شيئاً من ذلك في كلّ تاريخ الدول الاسلاميّة فأنّنا نؤكد لهُ انهُ لن يجدهُ بل يجد خلافهُ ونحن مستعدّون ان نثبته لهُ بالشواهد المتعدّدة

والدليل على انهُ ينقل ما نقل عن مصادر لا يوثق بها ذكرهُ لجروشياس (هكذا صحّف اسم غراسيانس الراهب الشهير) وقولهُ عنهُ انهُ مؤسس القانون الدولي في اوربّة (ص ١٧٧) وهو منظمهُ فقط . امّا نسبتهُ الى السيّد المسيح قولاً منافياً لتعليمهِ وهو «اوغرهم (يريد الشعوب) على الدخول في الدين » فانّما هو افتراء محض

٢ منشآت الكنيسة لتخفيف وطأة الحرب

انّ روح السلم والوداعة الذي ورثتهُ الكنيسة من منشئها الالهي لم تعلن بهِ فقط بموقفها امام تيّار الحروب وارشادها الامم الى الدعة والسكينة والوئام بل انشأت المشاريع المتعدّدة لتخفيف وطأة الحروب وحصر اضرارها في منطقة ضيّقة

١ (حق الحماية) واوّل ما وضعتهُ الكنيسة بعد فوزها بالحرّيّة لحقن دماء العباد الحمى اي التجاء الخائفين على حياتهم الى الاماكن المقدّسة كالكنائس والاديرة والمستشفيات والمعاهد التي يخفق فوقها علم الصليب المقدّس فاذا دخل الخائف في حدودها اضحى آمناً من اعدائهِ . فكم نجا بذلك من ضعيف لهيف وكم أمن من

طريد شريد. وكم بطلت من طائلة غضب او انتقام! وقد صادق الملوك على هذا الحقّ واعترفوا به مدّة كلّ الاجيال المتوسطة ولعلّ ما شاع من ذلك بين العرب واهل البادية كما رواهُ حضرة الاب بولس سلمان قدعاهُ حقّ الطنيب ليس هو غير صدًى ممّا ورثوهُ من قبائل النصارى القدماء الذين كانوا سابقاً في جزيرة العرب

٢ (صلح الله) او سلام الله (Paix de Dieu): هو ايضاً من مشاريع الكنيسة انشأتهُ لتصون من بلايا الحرب اماكنَ واشخاصاً عديدين في زمن الحرب. فالاماكن كالكنائس والاديرة والمقابر وما يقع في جوارها ما لم تكن محصّنة. اما الاشخاص فمن يتعاطون الفلاحة والصناعة والتجارة وما يتّصل بنظرهم كالطاحن والمواشي وما اشبه. وبموجب صلح الله كان يتحتّم على المحاربين ان لا يوقعوا اذًى بالمسافرين والاولاد والنساء ومن يسير في رفقتهنّ. وقد انزل مجمع بلنسية من اعمال اسبانية سنة ١١٢٩ اشدّ العقوبات بمن يتجاسر فيبيح ذمار مَن سبق ذكرهم. وقد اوقع مجمع كارمون المنعقد في فرنسة سنة ١١٣٠ الحرم الكنسيّ بمن يلقي في اثناء الحروب حريقاً في البيوت والحقول والبساتين والمدن والقرى. ونُودي بهذه القوانين في بقيّة البلاد فصارت مرعيّةً في اطراف النصرانيّة. وأقيمت فرقٌ من جنود الدول لمعاقبة من يخالف تلك المراسيم

٣ (هدنة الله: Trêve de Dieu) هي مشروع ثالث لكسر شوكة المتحاربين توخّت الكنيسة امرهُ لمنع القتال في بعض الازمنة والمواسم الجليلة كايّام الصوم الكبير واعياد السيّد المسيح ومريم العذراء وبعض القديسين بل حصرت المحاربة في كلّ اسبوع في ثلثة ايّام فقط من الاثنين الى الاربعاء. وكان الاحبار الرومانيّون يشدّدون على حفظ هذه القوانين واتّفقوا مع الملوك على معاقبة من يثلمها بعد قطعهم من شركة المؤمنين بالحرم والتاديبات الكنسيّة ثمّ امتدّت بمساعيهم الى كلّ الدول النصرانيّة. وكان الاساقفة والكهنة يتلون على مسامع الشعب شروط الهدنة ثمّ يدعون غضب الله على من يتجاوزها فيرمون على الارض شموعهم المشعلة صارخين: اطفأ الله السرورَ من قلب كلّ من لا يذعن لشروط السلام (١)

(١) جاء في المقتطف (مجلد ٦٣ : ٦٤) ما حرفه «وكان نفوذ الكنيسة في ذلك الزمان عظيماً جدًّا فبذلته في توفيق عرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنّت شريعةً سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمّتها «هدنة الله» في الارض»

ومن عناية الكنيسة ايضاً في تلطيف ويلات الحرب انها منعت في مجامعها اتخاذ الاسلحة التي تلحق الاذى بالبعيد كالسهام والاقواس وما شاكلها لئلا تصيب يدينا مسالماً ولأنها معدودة كأسلحة الجبان الذي يخاف القتال عن كثب. ووردت في ذلك قوانين المجمع المسكوني اللاتراني الثاني سنة ١١٣٩ الذي حظر المحاربة بهذه الاسلحة العمياء التي قال عنها انها خاصة المسلمين دون النصارى (١

وما قولنا الآن عن المشروعات المتعددة التي يقوم بها الاكليروس والرهبان لمساعدة جرحى الحرب في ساحات القتال وخارجاً عنه دون اختلاف بين صديق او عدو وقد شكرت تركيّة في حرب القريم اعمال راهبات المحبة مع جنودها واقرت بمبادئهن الشريفة . ولنا في الحرب الاخيرة من ذلك شواهد حيّة كالصليب الاحمر وغيره كلها تنطق بفضل الكنيسة

٣ المجلس التحكيمي في الكنيسة

انّ قيام الكنيسة مقام الحكم الفاصل بين الملوك والامراء عند تباين اهوائهم وتفرّق كلمتهم قد اوقف انتشاب حروب جمّة بعد ان اوشكت ان تستعر ضراماً. وكثيراً ما انتدبوا لذلك رؤساء الكنيسة عموماً واحبارها الاعظمين خصوصاً

ولا يخفى انّ سلطة البابا الروحيّة تتناول كلّ اقطار المعمور فكانت الملوك في الاجيال المتوسطة تنقاد لأحكامه حتّى في الشؤون العالميّة وتركن الى طاعته الشعوب نظراً لما عُرف فيه من الاستقامة وصفاء السريرة واعتدال المشرب وكثرة الخبرة وسعة المدارك الى حزم اسمى من ان يأخذ بالوجوه وهو نائب المسيح. وابو جميع المؤمنين يُنزلهم جميعاً منزلة الابناء.

فهذا ما جعل الملوك والامراء يرجعون اليه فاقاموه الحكم المطاع والمرشد النصوح فيما اعتراهم من وجوه الخلاف فاستناروا برأيه ووقفوا عند حكمه فأمنوا بواسطته انتشاب الحروب وكفّوا عن سفك الدماء. والشواهد التاريخيّة على ذلك اكثر من ان تُحصى

وقد ظهر الامر خصوصاً في الاجيال المتوسطة اذ رأى الاحبار الرومانيّون تطاول

(١) اطلب (Revue Archéolog. 1916, p. 295—302)

بعض الملوك على رعاياهم وظلمهم لشعوبهم فتصدّوا لهم ودافعوا عن المظلومين لا يرهبون من سطوة اولئك الطغاة . كما شاع عن هنريكوس الرابع امبراطور المانية الذي كان اضرم في اوربة حرباً عواناً أخذت بربوعها ضروب الآفات فوقف في وجهه شيخ رومية رادعاً ولم يزل يقارعهُ حتّى اضطرّهُ الى الخضوع بما انزل بهِ من العقوبات الكنسيّة

ولمّا قامت تلك الشيع الهمجية شيع الألبيجيين وقلبوا البلاد بغاراتهم ظهراً لبطن كان الاحبار الرومانيّون في طريقهم كالسدّ المنيع الذي اوقف سيلهم الجحاف

وما قولنا بأحكام البابوات بازاء مطامع الملك فيليب اوغسط في فرنسة وريشرد قلب الاسد وجان صَنتير في انكلترا . فاولا ما قضى بهِ رؤساء الكنيسة في مجلسهم التحكيميّ لأنقذت بلادهم سعيرًا وعنّتها البلايا

وكلّ يعلم النزاع الذي استحكم بين دولتي اسبانية والبرتغال لدن اختلافهما على اقتسام الاراضي الشاسعة التي اكتشفوها في العالم الجديد رجال من كلتا الدولتين فعُرض وجه الخلاف الى مجلس البابا اسكندر السادس الذي نظر فيهِ بكل حكمة ورسم خطًّا على خارطة اميركا كان الحدّ الفاصل بين اراضي الدولتين فاذعن كلّ من الفريقين لهذا الحكم خانعاً ولولاهُ لاصطبغ العالمان الجديد والقديم بدماء المتحاربين

ولم تخلُ الازمنة المتأخرة من حوادث خطيرة اضطرّت الملوك في أثنائها الى ان يرجعوا الى الاحبار الرومانيين في حلّ ما تعقّد بينهم من المشاكل ممّا كان لولا توسطهم قد اثار حروباً طاحنة

منها الخلاف الشهير الذي استحكم بين المانية واسبانية بشأن أحقيّة الاستيلاء على جزائر الكارولين . فاجتمع رأي الدولتين على تحكيم البابا لاون الثالث عشر ليحلّ عقد الاشكال لما قام في يقينهما من حصافة رأيه ونزاهة نفسهِ . وقد حقّق البابا آمالها اذ اصاب بسهام رأيه كبد المشكل واصدر حكماً وقف المتخاصمون عنده راضين شاكرين

ومثلهم فعلت دولتا البيرو والشيلي لدن حكّموا البابا لاون ثمّ البابا بيوس العاشر في تعيين الحدود بين املاك الدولتين ثم في حسم خلاف شديد حدث بينهما

هذا قليل من كثير ممّا سطّرهُ التاريخ من مساعي الكنيسة في سبيل السلام .

ولولا شطط بعض الملوك كفيليب لوبال ثم فتن الشيع البروتستانية في القرن السادس عشر وعصيانها على رؤساء الدين لتوفرت على العالم المتمدن شرور لا تحصى

فقل لي ناشدتك الله أما كان العالم نجا من كل اهوال الحرب العمومية الاخيرة لو كانت النسمة والسرب رفعتا الى البكرسي الرسولي امر الخلاف الذي اثار تلك الحرب واذاق البشر الامرين ولا تزال عقابيلها تفتك بنا الفتك الذريع . فلا جرم ان ذلك التحكيم السلمي كان اعاد للعالم سلامه وانتزع الضغائن من القلوب وساعد على ترقية الامم الى معارج الامن والفلاح

لعمر الحق قد اضمحل اليوم الوهم الذي كان سائدا على العالم من ان العلم والتهذيب والمدنية من شأنها ان تلطف العوائد وتهذب الطبائع والاخلاق الى ان تزيل اسباب الخلاف . فان وقائع السنين الاخيرة اظهرت ان كل رقي العلوم الحديثة لم يكن الا اداة هائلة جعلت الحرب بربرية همجية وساعدتها على التفنن في التخريب والتدمير وعليه لا يخلص البشرية من الحروب الا الدين

وان اعترض علينا احد بقوله ان رؤساء الكنيسة نفسهم باشروا الحروب ودفعوا اليها الملوك وامدوهم بالقوات والذخائر لاسيما الحروب الصليبية . اجبنا اولا ان الاحبار الرومانيين لم يدخلوا قط في حرب هجومية رغبة في توسيع املاكهم او مساعدة لغيرهم في ذلك . ثانياً معلوم انه كانت للباباوات املاك اوقفها على الكنيسة الملوك والامراء من تلقاء نفسهم فتركبت منها دولة كان يتحتم على الحبر الروماني المدافعة عنها بالقوة اذا اغتصبها ظالم وليس من احد يأخذ على ائمة الكنيسة فعلهم هذا او يلومهم في حفظ تلك الوديعة وهم المؤتمنون عليها . ثالثاً ان الحروب الصليبية عينها انما كانت دفاعية واحتياطية اكثر منها هجومية . فان الدول الاسلامية باتساع نطاقها كانت تتهدد الممالك النصرانية حتى اصبحت على قاب قوسين من حواضرها . ثم ان الحروب الصليبية كانت غايتها نجاة الاماكن المقدسة من ايدي مغتصبيها ومنتهكي حرمتها فان الحاكم بامر الله وحده كان اخرب ثلاثين الفاً من الكنائس النصرانية بعد ان دمر كنيسة القيامة في القدس الشريف أفما كان هذا سبباً كافياً لمحاربة الدولة الفاطمية المتولية على الاراضي المقدسة فمن يلوم الكنيسة على سعيها في الذود عن حياض دينها . وقل مثل ذلك عما صنعته لترد عن اوربة

تيار الدولة التركية التي يقبح مظالمها اليوم المسلمون فضلاً عن النصارى (١) . رابعاً وهيهات ان نسلم بنسبة ما اتى به بعض ملوك النصارى ظلماً كمذبحة القديس برتلماوس وبعض اعمال ديوان التفتيش في اسبانية الى ارباب الكنيسة وهم براء منها . ولم تكتف الكنيسة بعدم اقرارهم على هذه الاعمال بل كانت اول من يؤاخذهم عليها ويشدد عليهم النكير في اتيانها حتى ولو كانوا من اعز اولادها كشرلمان العظيم والكنت دي منفور فان الاحبار الرومانيين بكتوهما على افراطهما بمحاربة اعدائهما واعداء الدين

ويسوغ لنا ان نختم هذه المقالة بما كتبهُ جابرت احد مشاهير الكتبة العصريين مزكياً الكنيسة عن هذه التهم بقوله :

بعد ان اقرت الكنيسة ما لديها من وسائل الاقناع لكف الايادي الظالمة دون ان يجديها القول نفعاً قامت — وهي لم تقبل الا مكرهة — تطلب من القوة ان تقدم الحق وتناضل بالسيف عن حوزته فتدفع عن اهتضامه اقواماً لا يبرقون رأياً الا السيف ولا يحترمون الا عهد القوة . فهذا امرٌ لا غبار عليه وهي بغنى عن طلب الصفح والتنصل . حسبها ان كل من يشفي بنور العقل يعتبر اعمالها في هذا السبيل خدمة جلى للانسانية فيحضها على الثناء الطيب والشكر الجزيل

حول جزيرة العرب .

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي تابع

مكة وشرفاؤها

بعد ابحاثنا السابقة عن اليمن لا بدَّ ايضاً ان نخص بنظرة اجمالية امارة شرفاء مكة كلٌ يعرف مقام مكة والمدينة في اعين الاسلام فالأولى مركز دينهم وقبلة

(١) للكاتب الفرنسوي الشهير شاتوبريان كلام مأثور في ذلك قال : « ان الذين قد اقاموا الملوك من سباتهم وجمعوا الشمل ووحدوا الكلمة وابرموا المعاهدات دفاعاً عن البلاد الغربية لكي لا تقع فريسة الاتراك انما هم البابوات ولو لم يكن للكنيسة من الاعمال الخطيرة في جانب الانسانية غير هذا لكفى . فهذه النعمة السابقة تجعلها اهلاً لأن تُقام لها المذابح شكراً واكراماً »